

الإشاعة والتعامل معها في ضوء القرآن الكريم

إعداد الدكتور
الحسن بن خلوي بن حسن الموكلبي
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين
جامعة الملك خالد ١٤٢٥ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإنه لا يخفى على ذي لب ما تواجهه الأمة الإسلامية من مخططات أعدائها التي تستهدف تشتيت صفّها وتفريق كلمتها وتضييع جهودها، وهذا المكر من أعداء الأمة سنّة مستمرة، فهم لا يألون جهداً في سبيل تحقيق مآربهم وأهدافهم التي يصبون إليها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومن وسائل مكرهم وكيدهم التي يستهدفون بها تشتيت صف الأمة وتفريق كلمتها ترويج الإشاعات الباطلة في بلاد المسلمين، مستعينين في ذلك بشتى وسائل الاتصال التي تعددت وتطورت في عصرنا الحاضر بشكل منقطع النظير.

ومن الغريب والمؤسف أن يساعدهم في ترويج هذه الإشاعات - التي تنخر في جسد الأمة - شريحة ممن يُحسبون على الإسلام والمسلمين غير مباينين بما تجرّه على الأمة من أخطار جسيمة وويلات عظيمة.

ولقد أصبحت سوق الإشاعة في عصرنا الحاضر أكثر رواجاً من ذي قبل، بسبب وسائل الاتصالات الحديثة وتعددّها، فلا تكاد تفتح قناة تلفزيونية أو تقرأ صحيفة أو مجلة أو تتصل على موقع من مواقع شبكة الإنترنت حتى تفاجأ بكُم هائل من الشائعات التي تتناول الدول والجماعات والعلماء والمفكرين والساسة وغيرهم، والتي - إن صُدّقت - تسببت في تقويض المجتمع وتفريق الكلمة وفشل الأمة وهزيمتها.

ولو أن المسلمين تأدّبوا بأدب القرآن حيال الشائعات لما حدث ما نراه من سريانها في جسد الأمة سريان النار في الهشيم.

من أجل ذلك أردتُ المساهمة بهذا البحث المتواضع الذي يبيّن لقارئه منهج القرآن في التعامل مع الإشاعة، وسميته «الإشاعة والتعامل معها في ضوء القرآن الكريم».

وقد اشتمل هذا البحث على: تمهيد وفصلين وخاتمة.

التمهيد: ويشتمل على:

أولاً: تعريف الإشاعة.

ثانياً: مصادرها قديماً وحديثاً.



الفصل الأول: نماذج من الإشاعات التي حكاها القرآن عن بعض طوائف الناس. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: نماذج من إشاعات المشركين.

المبحث الثاني: نماذج من إشاعات أهل الكتاب.

المبحث الثالث: نماذج من إشاعات المنافقين والمرجفين.

الفصل الثاني: آثار الإشاعة ومنهج القرآن في التعامل معها وفي الحد منها. ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: أبرز الآثار المترتبة على الإشاعة في ضوء القرآن.

المبحث الثاني: منهج القرآن في التعامل مع الإشاعة.

المبحث الثالث: أهم التدابير القرآنية للحد من الإشاعة.

المبحث الرابع: المواطن التي تجوز فيها الإشاعة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث.

وفي الختام، فأنا لا أدعي أنني قد بلغت الكمال في هذا البحث، ولكن حسبي أنني بذلت فيه قصارى جهدي، فإن كنت قد وفقت في سبر غوره فذلك من فضل الله عليّ، وإن كنت قد قصرت في ذلك فجلّ من له الكمال، وأسأل الله العفو والتجاوز عن الزلل.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه الراعي عفو ربه

د.الحسن بن خلوي بن حسن الموكلي

الأستاذ المشارك بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد

تمهيد:

تعريف الإشاعة ومصادرها قديماً وحديثاً

أولاً، تعريف الإشاعة:

(أ) الإشاعة في اللغة:

مصدر أشاع الشيء يُشيعُه إشاعة.

قال ابن فارس^(١): «الشين والياء والعين أصلان يدلُّ أحدهما على معاضدة ومساعدة، والآخر على بثٍّ وإشادة»^(٢).

والإشاعة من الأصل الثاني.

قال ابن فارس في بيان الأصل الثاني: «وأما الآخر فقولهم: شاع الحديث إذا ذاع وانتشر، ويقال: شيع الراعي إبله إذا صاح فيها، والاسم الشيعاء... ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع - إذا كان غير مقسوم، وكان من له سهم ونصيب انتشر في السهم حتى أخذه كما يشيع الحديث في الناس فيأخذ سمع كل أحد»^(٣).

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، كان نحويّاً على طريقة الكوفيين، وكان شافعي المذهب ثم تحول مالكيّاً، من مصنفاته «المجمل»، و«معجم مقاييس اللغة» و«مقدمة في النحو»، مات بالري سنة ٣٩٥هـ. [بغية الوعاة (١/٣٥٢)].

(٢) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٣٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٣٥ - ٢٣٦).



وقال ابن منظور^(١): «وشاع الخبر في الناس يشيع شيعاً وشيعاناً ومشاعاً وشيعوعة فهو شائع - انتشر وافترق وذاع وظهر، وأشاعه هو، وأشاع ذكر الشيء أطاره وأظهره، وقولهم: هذا خبر شائع وقد شاع في الناس معناه قد اتصل بكل أحد واستوى علم الناس به ولم يكن علمه عند بعض دون بعض»^(٢).

ومما سبق يتبين لنا أن أصل الإشاعة في اللغة نشر الأخبار وإذاعتها وإظهارها بين الناس حتى يستوي الناس في العلم بها.

(ب) الإشاعة في الاصطلاح:

مع أن الإشاعة في الأصل مصدر أشاع الشيء إذا نشره وأذاعه وأظهره بين الناس، إلا أنها صارت في الاصطلاح تُطلق على نفس الخبر المشاع إذا توافرت فيه بعض الصفات والمعايير. ومن أجل اختلاف الناس في صفات الخبر الذي يصدق عليه أنه إشاعة اختلفت العبارات في تعريف الإشاعة في الاصطلاح.

وقيل: هي الأحاديث والأخبار التي يتناقلها الناس دون التثبت من صحتها والتحقق من صدقها.

وقيل: هي أخبار مشكوك في صحتها، ويتعذر التحقق من أصلها، وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجهة إليهم، ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية.

وقيل: هي النبأ الهادف الذي يكون مصدره مجهولاً، وهي سريعة الانتشار ذات طابع استفزازي أو هادئ حسب طبيعة النبأ.

(١) هو محمد بن مكرم بن علي بن منظور الأنصاري الإفريقي، صاحب لسان العرب الذي جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة، ولد سنة ٦٣٠هـ وجمع وحدث واختصر كثيراً من كتب الأدب المطولة، توفي سنة ٧١١هـ. [بغية الوعاة (٢٤٨/١)].

(٢) لسان العرب (١٩١/٨).

وهناك من عرّفها على اعتبارها مصدر أشاع - كما هو الأصل - فقال: هي بثٌ خبر من مصدر ما في ظرف معين ولهدف ما يبغيه المصدر دون علم الآخرين، وانتشار هذا الخبر بين أفراد مجموعة معينة^(١).

ومما سبق يتبيّن لنا أن هناك ارتباطاً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للإشاعة وهو الانتشار، كما يتبيّن أن من سمات الإشاعة عدم التحقق من صحة الخبر المشاع، وسرعة انتشاره، ووجود هدف ما وراء نشره، ووجود إثارة فيه تؤدي إلى تقبله ممن يوجّه إليه.

وبناءً على ذلك يمكن أن نتوصل إلى تعريف قريب من حقيقة الإشاعة وهو أنها: الخبر المثير السريع الانتشار الغير متحقق من صحته، الذي يهدف ناشره إلى تحقيق هدف ما من نشره.

على أنه قد غلب إطلاق الإشاعة على الخبر الذي لا أساس له من الصحة، حتى أنه إذا أريد تكذيب خبر ما وبيان بطلانه قيل: هو إشاعة.

ثانياً: مصادر الإشاعة قديماً وحديثاً:

كانت مصادر الإشاعة قديماً وقبل ظهور وسائل الاتصال الحديثة مقتصرة على:

- أ - الأخبار المتناقلة بالرواية بين الناس.
 - ب - الأخبار المكتوبة المتناقلة بين الناس عبر الرسائل.
- أما في العصر الحاضر الذي كثرت فيه وسائل الاتصال فقد أصبحت مصادر الإشاعة كثيرة، ومن أهمها:
- أ - الجرائد والمجلات والنشرات.

(١) وردت هذه التعريفات ضمن مقال لعبدالعزیز السدحان منشور على شبكة الإنترنت بعنوان «أخي احذر الإشاعة» في موقع aslam.net.



ب - الإذاعات.

ج - الأشرطة المسجلة.

د - الهاتف الثابت والهاتف الخليوي (الجوال) ونحوهما.

هـ - التلفاز.

و - الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

ولهذا سهل في هذا العصر ترويج الإشاعات؛ لأنها لا تكلف صاحبها أي جهد ولا تعرضه لأي خطر حسيّ أو معنوي، فإذا كان مروج الإشاعة قديماً يخشى من التعرض لخطر المساءلة أو الافتضاح بسبب إشاعته؛ لكونه تحدث بها أو كتبها بخط يده، فإنه في عصرنا الحاضر يمكن أن تنتشر الإشاعة عبر الإنترنت باسم مستعار فلا يتعرض صاحبها لأي خطر أو مساءلة.



الفصل الأول:

نماذج من الإشاعات التي حكاها القرآن عن بعض طوائف الناس

المبحث الأول

نماذج من إشاعات المشركين

حكى لنا القرآن الكريم جملة من الإشاعات التي صدرت عن المشركين في سياق مناوأتهم للرسول ﷺ ومحاولتهم القضاء على دعوته وإطفاء نورها، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَامِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

وقد تركزت إشاعات المشركين حول شخص الرسول ﷺ وحول القرآن المنزل عليه.

● فمن إشاعاتهم حول شخص الرسول ﷺ ما يلي:

(١) إشاعتهم عنه أنه ساحر:

ومن أمثلة ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [يونس: ٢].

قال الخازن^(١): «فيه حذف تقديره: أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وأنذرهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين، وإنما نسبوه للسحر لما أتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر أحد من البشر أن يحصل مثلها»^(٢).

(ب) قوله تعالى: ﴿وَعِيبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤].

والمشركون في هذا لم يخرجوا عن مسالك الأمم المكذبة قبلهم التي رمت أنبياءها بهذه الصفة كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢].

(٢) إشاعتهم عنه أنه كاهن:

وقد أشار القرآن إلى هذا في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مُجْنُونٍ﴾ [الطور: ٢٩].

قال القرطبي^(٣): «هذا رد لقولهم في النبي ﷺ، فعقبة بن أبي معيط قال: إنه مجنون، وشيبة بن ربيعة قال: إنه ساحر، وغيرهما قال: إنه كاهن، فأكذبهم الله ورد عليهم»^(٤).

(١) هو علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم المشهور بالخازن، ولد سنة ٦٧٨هـ، من مصنفاته: التفسير المسمى «لباب التأويل»، و«شرح عمدة الأحكام»، وغيرهما. [شذرات الذهب (١٣١/٦)؛ الدرر الكامنة (١٧١/٣)].

(٢) تفسير الخازن (٤٢٧/٢).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي المالكي، إمام متبحر في العلم له تصانيف مفيدة تدل على إمامته وكثرة اطلاعه ووفور فضله منها تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» الذي سارت بشهرته الركبان، وشرح الأسماء الحسنى. توفي سنة ٦٧١هـ. [طبقات المفسرين للداودي (٦٩/٢)].

(٤) تفسير القرطبي (٧١/١٧).

والكاهن هو الذي يوهم أنه يعلم الغيب ويخبر بما في غدٍ من غير وحي^(١).

كما يشير إلى ذلك أيضاً قوله في معرض الردِّ على الكفار: ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٢].

(٣) إشاعتهم عنه أنه مجنون:

وقد أشار الله إلى ذلك في عدة آيات، منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

(ب) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِحَقِّ كَرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٠].

(ج) قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّا لِلَّهِ تَارِكُونَ﴾ [الصفافات: ٣٥، ٣٦].

(د) قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُزِلُّوكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١].

وقد ردَّ الله عليهم ذلك في أكثر من آية، منها:

□ قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَّا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٤].

□ قوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [القلم: ٢].

□ قوله تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكَ بِمَجْنُونٍ﴾ [التكوير: ٢٢].

(١) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحي (٤/١٨٩).



(٤) إشاعتهم عنه أنه شاعر:

وقد أخبر الله عن ذلك في مواضع متعددة، منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضَلَّكُمُ الْهَيْمُ بِكُلِّ آفَاقَةٍ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنَسُوا إِنَّا كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥].

(ب) قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَينَا لِشَاعِرٍ يَجْنُونُ ﴿٣٦﴾﴾ [الصفافات: ٣٦].

(ج) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّرْصُ بِهِ رَبِّبَ الْمَنُونِ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥].

قال القرطبي: «أي: بل يقولون محمد شاعر»^(١).

وقد ردَّ الله عليهم هذه الإشاعة الباطلة في أكثر من موضع، منها:

□ قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ [يس: ٦٩].

□ قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٤١].

(٥) إشاعتهم عنه أنه مفتري للقرآن:

ومن أمثلته:

(أ) قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ آفَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [يونس: ٣٨].

(ب) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ آفَرَنَاهُ وَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان: ٤١].

(ج) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: ١٠١].

(١) تفسير القرطبي (٧١/١٧).

● ومن إشاعتهم حول القرآن ما يلي:

(١) إشاعتهم عنه أنه سحر:

ومن أمثلة ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾ [هود: ٧].

(ب) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا يَتَذَكَّرُ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾ [سبا: ٤٣].

(ج) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزخرف: ٣٠].

(د) قوله تعالى - حكاية عن الوليد بن المغيرة^(١) -: ﴿نَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾﴾ [المدثر: ٢٤].

(٢) إشاعتهم عنه أنه قول شاعر (أي هو شعر): وهذا يفهم من وصفهم للرسول ﷺ بأنه شاعر، وقد سبقت أمثلته.

(٣) إشاعتهم عنه بأنه إفك:

والإفك بمعنى الكذب^(٢)، ومن أمثلة ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].

(١) تفسير الخازن (٤/٣٦٣).

(٢) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/١٠١).



أي: ما هذا إلا كذب افتراه محمد واختلقه من تلقاء نفسه^(١).

(ب) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَالُ عَلَيْهِمْ مَائِئْتًا يَتَنَتَّى قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانُ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَارٌ مِمَّا قَدْ كُنْتُمْ مُتَقَرَّبِينَ﴾ [سبأ: ٤٣].

(ج) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَارٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف: ١١].

أي: إذ لم يهتدوا بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان فسيقولون هذا إنك قديم، يعني: كذب متقدم^(٢).

(٤) إشاعتهم عنه أنه أساطير الأولين:

والأساطير جمع أسطار، وأسطار جمع سطر، فهو جمع الجمع، مثل: قول وأقوال وأقاول، وقيل: واحد الأساطير أسطورة وإسطارة كأرجوحة وأراجيح، وأحدوثة وأحاديث، ومعناها الترهات البسباس، وهو الذي لا نظام له وليس بشيء صحيح^(٣).

وقد ورد وصفهم للقرآن بذلك في أكثر من موضع، منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥].

(ب) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نُنَالُ عَلَيْهِمْ مَائِئْتًا قَالُوا قَدْ سَجَعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: ٣١].

(ج) قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رِيكُزًا قَالُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [التحل: ٢٤].

(١) الوسيط (٣/٣٣٤).

(٢) تفسير الخازن (٤/٣٠).

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧؛ والمفردات في غريب القرآن للراغب ص ٢٣٢.

أي: الذي يذكرون أنه منزل أساطير الأولين، أي: أكاذيبهم وما سطوروا في كتبهم^(١).

(د) قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

(هـ) إشاعتهم أن النبي ﷺ أخذها عن بعض البشر: وقد ورد هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِيْ وَهَذَا لِسَانُ عَزِزٍ مُّبِينٍ﴾ [التحل: ١٠٣].

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أن قريشاً قالت: إنما يعلم محمدًا عبد لبني الحضرمي رومي يقال له «يعيش» صاحب كتاب^(٢).

وحكى الواحدي^(٣) عن عبيدالله بن مسلم^(٤) أنه قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما «يسار» والآخر «جبر»، وكانا صيقلين^(٥) يقرآن كتاباً لهما بلسانهما، وكان رسول الله ﷺ يمرُّ عليهما ويسمع قراءتهما، وكان المشركون يقولون يتعلم منهما، فأكذبهم الله فقال: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِيْ﴾^(٦) يعني: لسان الذي يميلون إليه

(١) الوسيط (٦٠/٣).

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي. انظر: المستدرک على الصحيحين (٣٥٧/٢)؛ وانظر: معالم التنزيل للبغوي (٨٥/٣)؛ والوسيط (٨٤/٣).

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد أبو الحسن الواحدي النيسابوري، كان أوحد عصره في التفسير، لازم أبا إسحاق الثعلبي، ودأب في العلوم، من مصنفاته: التفاسير الثلاثة «البيسط والوسيط والوجيز»، و«أسباب النزول» و«المغازي»، توفي سنة ٤٦٨ هـ. [طبقات المفسرين للداوودي (٣٨٧/١)؛ طبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦].

(٤) هو عبيدالله بن مسلم الحضرمي، له صحبة، قال البغوي: يقال أدرك النبي ﷺ ثم أخرج له حديثين. انظر: تهذيب الأسماء واللغات (٤٨/٧).

(٥) الصيقل: شحاذ السيوف وجلاؤها، انظر: لسان العرب (٣٨٠/١١).

(٦) الوسيط (٨٤/٣ - ٨٥)؛ تفسير الخازن (٩٩/٣).



ويشيرون إليه أعجمي ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَكْرِيٌّ ثُبِيثٌ﴾ [النحل: ١٠٣] يعني بين الفصاحة والبلاغة، ووجه الجواب هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام، ومحمد ﷺ جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم - وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة - عنه، فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله؟! (١).

وفي هذا المعنى أيضاً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ لِّتَحْتُونَ ﴿٧﴾﴾ [الدخان: ١٤].

وقوله تعالى - حكاية عن الوليد بن المغيرة -: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر: ٢٥]. قال الخازن: «يعني يساراً وجبراً، فهو يأثره عنهما» (٢).

● هذا وللمشركين أيضاً إشاعات غير إشاعاتهم عن الرسول ﷺ والقرآن ما أشاعوا مثل: (١) إشاعتهم قتل الرسول ﷺ يوم أحد:

فقد روى أهل السير أن عبدالله بن قميثة (٣) أقبل على قتل الرسول ﷺ فذُبَّ عنه مصعب بن عمير (٤) فقتله ابن قميثة وهو يرى أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع وقال: «إني قتلْتُ محمداً، وصاح صارخاً: ألا إن محمداً قد قُتِلَ - وقيل: كان الصارخ إبليس - فانكفأ الناس وجعل رسول الله ﷺ يقول: «إلَيَّ عباد الله! إلَيَّ عباد الله!» فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً فحموه حتى كشفوا عنه المشركين، وأنزل الله في ذلك: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

(١) تفسير الخازن (٩٩/٣).

(٢) تفسير الخازن (٣٦٤/٤).

(٣) هو عبدالله بن قميثة الليثي، ثبت أنه هو الذي رمى وجنتي رسول الله ﷺ يوم أحد، كما نقل ذلك ابن كثير عن الواقدي. [البداية والنهاية (٣٠/٤)].

(٤) هو مصعب بن عمير بن هاشم القرشي العبدري، من جلة الصحابة وفضلائهم، هاجر إلى الحبشة في أول من هاجر، وبعثه الرسول ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، شهد بدرًا وقُتل يوم أحد. [الإصابة (٤٢١/٣)].

أَفَايِنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَعَلَىٰ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿٧٤﴾ [آل عمران: ١٤٤] ^(١).

(٢) إشاعتهم كثرة جمعهم في بدر الصغرى:

وذلك أن أبا سفيان ^(٢) لما أراد الانصراف يوم أحد، قال: يا محمد موعد بيننا وبينك موسم بدر، فلما كان العام المقبل خرج أبو سفيان، ثم ألقى الله في قلبه الرعب، فبدا له الرجوع، فلقي نعيم بن مسعود - أو معبد الخزاعي - فقال: إني قد واعدتُ محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وهذا عام جذب لا يصلح لنا فثبطهم وأعلمهم أننا في جمع كثير، فلقيهم فخوفهم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، وخرج النبي ﷺ بأصحابه حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان، فأنزل الله في ذلك: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿٧٧﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِيَابَ الْمَدِينَةِ وَالنَّاسُ يَكْفُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤] ^(٣).

(٣) إشاعتهم عن أبي بكر ﷺ لما أعتق بلالاً:

أنه إنما أعتقه ليد كانت له عنده، فأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ إِلَّا أَثِمَاءً وَبِهِ رِيبٌ أَلَعَلَّيْ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل: ١٩ - ٢١] ^(٤).

(١) انظر القصة في تفسير الطبري (٧٣/٤ وما بعدها)؛ وتفسير الخازن (٣٠٣/١ - ٣٠٤)، وما ذكرته هو محل الشاهد من القصة.

(٢) هو صخر بن حرب بن أمية، قاد المشركين في معركة الخندق، وأسلم عام الفتح، وشهد حنيناً واليرموك، توفي بالمدينة سنة ٣١هـ. [سير أعلام النبلاء (١٠٥/٢)].

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٢٠/٤)؛ زاد المسير (٥٠٣/١).

(٤) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ٢٠٦؛ الوسيط (٥٠٥/٤)؛ معالم التنزيل للبغوي (٤٩٦/٤ - ٤٩٧).



المبحث الثاني

نماذج من إشاعات أهل الكتاب

حكى لنا القرآن أيضاً جملة من الإشاعات التي أطلقها أهل الكتاب وبخاصة اليهود، ومن أبرز تلك الإشاعات ما يلي:

(١) إشاعة بعض اليهود الدخول في دين الإسلام في أول النهار ثم الكفر به في آخره:

ليشككوا المسلمين في صحة دين الإسلام وفي صدق النبي ﷺ، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَءَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرُهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (آل عمران: ٧٢).

فقد روي في سبب نزول هذه الآية أن اثني عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة تواطؤوا فقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار، وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا أن محمداً ليس هو بذلك المنعوت، وظهر لنا كذبه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه وأتهموه وقالوا: إنهم أهل كتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم، فأخبر الله نبيه بسرهم وأنزل هذه الآية^(١).

وفي رواية أنه لما صُرفت القبلة إلى الكعبة شق ذلك على اليهود، فقال كعب بن الأشرف^(٢) لأصحابه: آمنوا بالذي أنزل على محمد في الكعبة

(١) أخرجه الطبري في تفسيره عن السدي (٢٢١/٣)؛ والواحدي في أسباب النزول ص ٥١ عن الحسن والسدي، وانظر: زاد المسير (٤٠٥/١)؛ وتفسير الخازن (٢٥٩/١).

(٢) هو كعب بن الأشرف الطائي، شاعر جاهلي، أدرك الإسلام ولم يسلم، هجا النبي ﷺ وأصحابه وشبّب بنسائهم، قتله خمسة من الصحابة في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه إلى النبي ﷺ سنة ٣ هـ. [السيرة النبوية لابن هشام (٥١/٢ - ٧٥)؛ سير أعلام النبلاء (١/٣٣٧)].

وصلوا إليها في أول النهار، ثم اكفروا وارجعوا إلى قبيلتكم آخر النهار لعلهم يرجعون فيقولون: هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم، فيرجعون إلى قبيلتنا، فأطلع الله رسوله ﷺ على سرهم، وأنزل هذه الآية^(١).

(٢) إشاعة اليهود عن مريم البتول أنها ارتكبت جريمة الزنا: وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦].

قال ابن جرير: «يعني جل ثناؤه وبكفر هؤلاء الذين وصف صفتهم ﴿وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦] يعني بفريتهم عليها ورميهم إياها بالزنى، وهو البهتان العظيم؛ لأنهم رموها بذلك وهي مما رموها به - بغير ثبوت ولا برهان - بريئة، فبهتوها بالباطل من القول»^(٢).

وقال الخازن: «وإنما سماه بهتاناً عظيماً؛ لأنه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك، فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم»^(٣).

(٣) إشاعة اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام: وقد بين القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا [النساء: ١٥٨].

وقد دحض الله إشاعة اليهود هذه بقوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] بل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ.

(١) أخرجه الواحدي في أسباب النزول عن مجاهد ومقاتل ص ٥١؛ وانظر: زاد المسير (٤٠٥/١)؛ وتفسير الخازن (٢٥٩/١).

(٢) تفسير الطبري (٩/٦).

(٣) تفسير الخازن (٤٤٤/١).



وفي قوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ [النساء: ١٥٧] قولان:

أحدهما: أنه من قول اليهود، فيكون المعنى: رسول الله على زعمه.

والثاني: أنه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم، وذلك أنه تعالى أبدل ذكرهم في عيسى القول القبيح بالقول الحسن رفعاً لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح^(١).

(٤) إشاعة اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه:

وقد ذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَفْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

قال مقاتل^(٢): «هم يهود المدينة ونصارى نجران»، وقال السدي^(٣): «قالوا إن الله أوحى إلى إسرائيل: إن ولدك بكري من الولد فأدخلهم النار فيكونوا فيها أربعين يوماً حتى تطهرهم وتأكل خطاياهم، ثم ينادي مناد: أخرجوا كل مختون من بني إسرائيل»^(٤).

(١) انظر: زاد المسير (٢/٢٤٤)؛ تفسير الخازن (١/٤٤٤).

(٢) هو مقاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني المفسر، نزيل مرو، روى عن مجاهد وعطاء والضحاك، وعنه بقية بن الوليد وعبدالرزاق الصنعاني، وقد لطف بالتجسيم مع أنه كان من أوعية العلم بحرراً في التفسير، من مصنفاته: «نظائر القرآن»، و«التفسير الكبير»، و«الناسخ والمنسوخ»، مات سنة ١٥٠هـ. [ميزان الاعتدال (٤/١٧٣)؛ طبقات المفسرين (٢/٣٣٠)].

(٣) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة، الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي، أحد موالى قريش، حدث عن أنس بن مالك وابن عباس وعبد خير الهمداني وعدد كثير، وحدث عنه شعبة وسفيان الثوري وأبو بكر بن عياش وآخرون، وورد عنه أنه رأى أبا هريرة والحسن بن علي، توفي سنة ١٢٧هـ. [سير أعلام النبلاء (٤/٨٨)].

(٤) انظر: زاد المسير (٢/٣١٨).

وقد ردَّ الله عليهم هذه الإشاعة وأكذبهم بقوله: ﴿فَلَمْ يَعْذِبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ [المائدة: ١٨]. قال القرطبي: «فلم يكونوا يخلون من أحد وجهين، إما أن يقولوا: هو يعذبنا فيقال لهم: فلستم إذاً أبناءه وأحباءه، فإن الحبيب لا يعذب حبيبه، وأنتم تقرُّون بعذابه، فذلك دليل على كذبكم. أو يقولوا: لا يعذبنا فيكذبوا ما في كتبهم وما جاءت به رسلهم ويبيحوا المعاصي وهم معترفون بعذاب الله العُصاة منهم»^(١).

(٥) إشاعة بني إسرائيل عن موسى ﷺ أن به أدرة أو برصاً. وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ [الأحزاب: ٦٩]. روى البخاري^(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى كان رجلاً حَيِّياً ستيراً لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة^(٤)، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى؛ فخلاه يوماً وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عربان أحسن ما خلق الله، وأبراه مما يقولون، وقام الحجر بثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً

(١) تفسير القرطبي (١٢٠/٦ - ١٢١).

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن المغيرة أبو عبدالله البخاري، صاحب الجامع الصحيح في الحديث، وصاحب التاريخ الكبير والأدب المفرد، ولد سنة ١٩٤هـ ومات سنة ٢٥٦هـ. [تاريخ بغداد (٢٦٤/٤)].

(٣) هو عبدالرحمن بن صخر الدوسي، أحفظ الصحابة، حفظ عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وأبي بن كعب الكثير، وروى عنه سعيد بن المسيب وبشير بن نهيك وخلق كثير، مات سنة ٥٨هـ. [تذكرة الحفاظ (٣٢/١)].

(٤) الأدرة، بالضم: نفخة بالخصية، والآدر هو متفخ الخصية. [لسان العرب (١٥/٤)].

أو أربعاً أو خمساً، فذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩] ^(١).

(٦) إشاعة اليهود أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام واستراح يوم السابع وهو يوم السبت:

وقد أكذبهم الله وأبطل إشاعتهم هذه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] ^(٢).



المبحث الثالث

نماذج من إشاعات المنافقين والمرجفين

إشاعات المنافقين التي حكاهما القرآن الكريم كثيرة، ومنها:

(١) حديث الإفك:

والمراد به ما أشاعه المنافقون وبعض المؤمنين حول أم المؤمنين الطاهرة الطيبة عائشة ^(٣) بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها وأرضاهما، وتولّى كبره رأس المنافقين عبدالله بن أبي بن سلول ^(٤). وإنما

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب لا تكونوا كالذين آذوا موسى (٢٧/٦)؛ وانظر: تفسير الطبري (٣٧/٢٣)؛ الوسيط (٤٨٣/٣)؛ والدر المنثور للسيوطي (٢٢٣/٥).

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ص ١٨١؛ الوسيط (١٧٠/٤)؛ تفسير ابن كثير (٢٢٩/٤)؛ وفتح الباري (٥٩٤/٨).

(٣) هي أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق، روت كثيراً من الأحاديث، وكان فقهاء الصحابة يرجعون إليها في كثير مما أشكل عليهم، تفقه بها جماعة، قال أبو موسى: «ما أشكل علينا أصحاب محمد ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً». توفيت ﷺ سنة ٥٧ هـ. [الإصابة (٣٥٩/٤)].

(٤) هو عبدالله بن أبي بن مالك الخزرجي أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، =

بدأت بذكر هذه الإشاعة من إشاعات المنافقين؛ لأنها أعظم وأشنع فرية ارتكبوها؛ إذ تتعلق ببيت الرسول ﷺ الذي أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً.

وملخص هذه الفرية العظيمة - كما ذكرت في كتب الصحاح - أن الرسول ﷺ كان إذا أراد سفرأ أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فأقرع بين نسائه في غزوة من الغزوات - قيل أنها غزوة بني المصطلق - فخرج سهم عائشة ؓ، فخرجت معه ﷺ تُحمل في هودجها، فلما فرغ الرسول ﷺ من الغزوة وقفل راجعاً ودنوا من المدينة أذن ليلة بالرحيل، فخرجت عائشة تمشي حتى جاوزت الجيش تقضي شأناً لها، فلما رجعت وأقبلت إلى الرحل لمست صدرها فإذا عقد لها قد انقطع، فرجعت تلتمسه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بها فحملوا هودجها على البعير الذي كانت تركبه وهم يحسبون أنها فيه، ثم بعثوا الجمل وساروا، وبعد أن وجدت عقدها ورجعت وجدت الجيش قد غادر المكان، فجلست في منزلها الذي كانت فيه ليرجع إليها القوم عندما يفتقدونها. فبينما هي جالسة في منزلها غلبتها عينها فنامت. وكان صفوان بن المعطل^(١) قد عرس من وراء الجيش فأدلى فأسبح عند منزلها، فرأى سواد إنسان نائم، فعرفها حين رآها - وكان يراها قبل نزول الحجاب - فاستيقظت على استرجاعه فخمرت وجهها. تقول عائشة: فوالله ما كلّمني كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته، فوطئ على يدها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر النهار، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولّى كبره عبدالله بن أبي بن سلول، وكان

= رأس المنافقين، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم. [الأعلام (٦٥/٤)].

(١) هو صفوان بن المعطل السلمي، صحابي شهد الخندق والمشاهد كلها، وحضر فتح دمشق، واستشهد بأرمينية سنة ١٩هـ. [أسد الغابة (٣٠/٣)؛ سير أعلام النبلاء (٥٤٥/٢)].



عبدالله بن أبي يستشوش حديث الإفك ويشعله، وقد روي أنه لما رأى صفوان بن المعطل آخذاً بزمام ناقة عائشة قال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. قالت عائشة: فأشكتي حين قدمنا شهراً والناس يفيضون في قول أهل الإفك... إلى آخر القصة^(١).

والحاصل من هذه القصة أن المنافقين وعلى رأسهم عبدالله بن أبي بن سلول قد أشاعوا عن أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل ما لا يليق بهما من سوء، وهو ما سمّاه الله تعالى بالإفك.

والإفك أسوأ الكذب، مأخوذ من أفك الشيء إذا قلبه عن وجهه، ومعنى القلب في هذا الحديث أن عائشة عليها السلام كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة وشرف الحسب والنسب، لا القذف الذي رموها به، فالذين رموها بالسوء قلبوا الأمر عن وجهه، فهذا إفك قبيح وكذب ظاهر^(٢).

وقد خاض في حديث الإفك أيضاً بعض المسلمين أمثال مسطح بن أثانة^(٣)، حسان بن ثابت^(٤)، وحمنة بنت جحش^(٥) كما جاء في سياق

(١) انظر القصة بطولها من حديث الزهري عن طائفة من الصحابة في صحيح البخاري - كتاب التفسير، باب لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً (٥/٦) - (٩)؛ صحيح مسلم بشرح النووي - كتاب التوبة باب حديث الإفك (١٠٢/١٧)؛ سنن الترمذي - كتاب التفسير رقم (٣١٧٩)، أسباب النزول للواحدي ص ١٤٦؛ الوسيط (٣٠٧/٣)؛ لباب النقول للسيوطي ص ٥٤؛ تفسير القرطبي (١٩٨/١٢).

(٢) انظر: الوسيط (٣٠٧/٣).

(٣) هو مسطح بن أثانة بن عباد القرشي، صحابي شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها، كان ممن خاض في حديث الإفك وجلده النبي ﷺ، مات سنة ٣٤هـ. [أسد الغابة (٣٥٤/٤)].

(٤) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر النبي ﷺ، كان ينافح عن النبي ﷺ وعن الإسلام، مات سنة ٥٤هـ، وعاش ١٢٠ سنة. [أسد الغابة (٥/٢)].

(٥) هي حمنة بنت جحش الأسدية، أخت أم المؤمنين زينب بنت جحش، شهدت أحدًا فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداوهم، كانت ممن خاض في حديث الإفك وجلدها رسول الله ﷺ. [الإصابة (٢٧٥/٤)؛ الاستيعاب (٢٧٠/٤)].

القصة^(١). وقد استهدف المنافقون بهذه الإشاعة اللثيمة والفرية العظيمة صاحب الرسالة العظمى، فرموه في أقدس شيء وأعزّه، محاولين بذلك توجيه ضربة للإسلام في الصميم - في شخص الرسول ﷺ - عن طريق الطعن في عرضه واتهام أهله، إلا أن الله تعالى كان لهم بالمرصاد، فأنزل على رسوله ﷺ في شأن المنافقين الذين خاضوا في حديث الإفك قرآنًا يتلى على مرّ الدهر؛ ليكون ذلك درساً وعبرة للأمة؛ لتعرف خطر المنافقين وضررهم على الأمة في كل زمان ومكان، وبرأ أم المؤمنين عائشة وصفوان رضي الله عنهما مما اتُهما به، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لِّكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْثَبَ مِنَ الْإِنِّمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَبَرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ١٣ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ١٦ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ١٧ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٨ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ١٩ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ٢٠ بَيَّنَّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢١ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٣ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩٩/١٢).



وَأَيَّدِيهِمْ وَأَرْسِلْهُمْ بِمَا كَانُوا يَسْعَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُؤْفِكُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ أَلْقَيْتُ لِلْحَيِثِّينَ وَالْحَيِثُونَ لِلْحَيِثِّينَ وَالْطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبِينَ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

[الثور: ١١ - ٢٦].

ومع أن هذه الإشاعة قد كلّفت أظهر النفوس في تاريخ البشرية آلاماً لا تطاق، وكلّفت الأمة كلّها تجربة من أشقّ التجارب في تاريخها؛ إلا أن الله تعالى وصفها بقوله: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [الثور: ١١].

قال الواحدي: «بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» لأن الله يأجركم ويظهر براءتكم، والخطاب لعائشة وصفوان فيما ذكر أهل التفسير^(١).

وقد أطلال المودودي^(٢) في بيان وجوه الخيرية في هذه الحادثة، ومن الوجوه التي ذكرها:

□ تهدئة أعصاب المؤمنين وكشف مكائد المنافقين؛ لأنهم أرادوا بإثارة هذه الفتنة هزيمة المسلمين في ميدان تفوقهم وهو ميدان الأخلاق، فكان من سيرة الرسول ﷺ وسلوك أهله وسلوك أبي بكر وعامة المسلمين إزاء هذا الموقف الأليم ما أظهر مبلغ طهارة جماعة المسلمين من الدنس والسوء وما يحكمها من النظام والتماسك والعدالة وبراءة الصدور؛ لأن إشارة من الرسول ﷺ كانت كافية في ضرب أعناق من رموه في عرضه، ولكنه صبر وعانى شهراً كاملاً، ومع ذلك عندما نزلت البراءة من الله لم يحدّ إلا الثلاثة المسلمين الذين خاضوا في حديث الإفك.

(١) الوسيط (٣/٣١٠).

(٢) هو أبو الأعلى بن السيد بن حسن المودودي، مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية في العصر الحديث، ولد سنة ١٣٢١هـ وتوفي سنة ١٣٩٩هـ، من مؤلفاته: «الجهاد في الإسلام»، و«تفسير سورة النور»، حصل على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام في عام ١٩٧٩م. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ١٧٣ - ١٧٤].

□ ومع أن مسطحاً خاض في حديث الإفك ورمى فلذة كبد أبي بكر بالسوء؛ إلا أن أبا بكر لم يقطع صلة قرابته ولم يمسك عنه مساعدته.

□ ومع أن زوجات النبي ﷺ ضرائر لعائشة ؓ؛ إلا أنهن - ومنهن زينب بنت جحش التي كانت تسامي عائشة - لم يقلن في عائشة إلا خيراً.

□ وهكذا ظهرت النتيجة على عكس ما كان يقصده المنافقون؛ حيث لم تزد المسلمين إلا تفوقاً في أخلاقهم.

□ ومنها زيادة أحكام الإسلام وقواعده للحياة الاجتماعية، حيث تلقى المسلمون من خلال هذه الحادثة تعاليم إذا عملوا بها سلم مجتمعهم من نشوء المنكرات والفواحش.

□ ومنها أن المسلمين من خلال هذه الحادثة علموا أحسن العلم أن النبي ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما يخبره الله به^(١).

(٢) إشاعتهم عن النبي ﷺ أنه أذن - أي يصدق كل من حدثه:

فقد روي أن جماعة من المنافقين كانوا يؤذون النبي ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، فقال بعضهم: لا تفعلوا فإننا نخاف أن يبلغه ما تقولون فيقع بنا، فقال أحدهم: نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فإنما محمد أذن سامعة، فأنزل الله تعالى تكذيباً لإشاعتهم هذه قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أُوذِيَ بِاللَّهِ وَنُؤْيِي لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١﴾ [التوبة: ٦١]^(٢).

(١) انظر: تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي ص ١١٩ - ١٢٢.

(٢) أسباب النزول للواحد ص ١١٥؛ الوسيط (٥٠٦/٢).



(٣) إشاعتهم عن النبي ﷺ والصحابة أنهم أرغب بطوناً وأكذب ألسنة وأجبن عند اللقاء:

فقد روي أن رجلاً من المنافقين في غزوة تبوك قال في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعني النبي ﷺ وأصحابه - أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء، فقال له عوف بن مالك^(١): كذبت ولكنك منافق، ولأخبرن رسول الله ﷺ، فذهب عوف ليخبر النبي ﷺ بذلك فوجد القرآن قد سبقه، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث بحديث الركب نقطع به عناء الطريق. وقد أنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِإِلَهِهِمْ وَرَسُولِهِمْ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ٦٥﴾ لَا تَمْنَدِرُوا فَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَقَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبْ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]^(٢).

(٤) إطلاقهم عدة إشاعات في غزوة الخندق:

بغرض تشبيط المؤمنين، وتوهين عزائمهم، وتشكيكهم في صدق وعد الله لرسوله والمؤمنين، كقول بعضهم: يعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن يجاوز رحله، هذا هو الغرور. وقول بعضهم: يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا لكثرة العدو وغلبة الأحزاب، وقول بعضهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه، دعوا الرجل فإنه هالك وتعالوا إلينا، ونحو ذلك من إشاعاتهم المغرضة^(٣)، وقد حكى القرآن إشاعاتهم هذه في سورة الأحزاب

(١) هو عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي، يكنى أبا عبد الرحمن، ويقال أبو حماد، وقيل أبو عمر، شهد خيبر وكانت معه راية أشجع يوم الفتح، سكن الشام وروى عنه أبو أيوب الأنصاري وأبو هريرة والمقدام بن معد يكرب وغيرهم، وروى عنه كثير بن مرة. توفي بدمشق سنة ٥٧٣هـ. [أسد الغابة في معرفة الصحابة (٤٢٩/٣)].

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ١١٥ - ١١٦؛ لباب النقول للسيوطي ص ١١٩.

(٣) انظر: الوسيط (٤٦٢/٣ - ٤٦٣)؛ تفسير الخازن (٤١٦/٣ - ٤١٧).

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّضِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٨) [الأحزاب: ١٨].

(٥) إشاعتهم أخباراً كاذبة عن سرايا رسول الله ﷺ: أنهم قد قتلوا وهزموا ونحو ذلك من الأخبار التي يكرها المؤمنون. وقد أشار الله إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْيًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٦٠، ٦١].

قال الواحدي: «والمرجفون في المدينة هم قوم كانوا يوقعون الأخبار بما يكره المؤمنون، يقولون قد أتاكم العدو ويقولون لسراياهم قد قتلوا أو هزموا»^(١).



(١) انظر: الوسيط (٤٨٣/٣)؛ تفسير الخازن (٤٣٧/٣).



الفصل الثاني:

آثار الإشاعة، ومنهج القرآن في التعامل معها وفي الحد منها

المبحث الأول

آثار الإشاعة

للإشاعة آثار سيئة وخطيرة على الأفراد والمجتمعات، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الآثار السيئة التي تترتب على الإشاعة. ومن هذه الآثار ما يلي:

(١) تشويه سمعة المُشاع عنه والقُدح في عرضه وما يتبع ذلك من ألم نفسي له ولكل من يمتُّ إليه بسبب، فحينما تطلق إشاعة تتعلق بعرض شخص ما فإن ذلك يكون سبباً لتشويه سمعته والقُدح في عرضه لدى الناس، ويترتب على ذلك تعرضه ومن يحبه لآلام نفسية لا تطاق. وأوضح مثال على هذا الأثر ما تعرّضت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وصفوان بن المعطل بسبب حديث الإفك الذي أشاعه المنافقون عنهما، فقد تسبب ذلك الحديث الشنيع في تشويه سمعتهما ولوك الناس لعرضيهما حتى نزل القرآن ببراءتهما، وترتب على ذلك الحديث تعرض أم المؤمنين عائشة وزوجها رسول الله ﷺ وأبيها أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكل من يحبها لآلام نفسية جسيمة تفوق الاحتمال حتى أن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول في سياق قصة الإفك - بعد

أن علمت بما يتحدث به الناس عنها -: «وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً حتى أظن أن البكاء فالتق كبدتي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي»^(١). فانظر إلى تلك الآلام النفسية التي تعرضت لها ﷺ من جراء تلك الفرية الشنيعة، حيث مكثت ليلتين ويوماً باكية لا يرقأ لها دمع ولا يداني جفניה نوم.

وإذا كان القرآن قد نزل ببراءة أم المؤمنين عائشة ﷺ فاستراحت من ذلك الألم، فكيف بمن لم تظهر براءته للناس من ضحايا الإشاعات؟

(٢) تثبيط العزائم وإضعاف الروح المعنوية في المجتمع لا سيما إذا كانت الإشاعة قد أطلقت في وقت مواجهة الأمة لعدوها وكانت مشتملة على إرجاف أو تخويف من العدو. وقد أشار القرآن إلى هذا الأثر في أكثر من موضع، منها:

(١) قوله تعالى - في شأن المتخلفين عن الخروج إلى غزوة تبوك من المنافقين -: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّوُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٦، ٤٧] فهذا يشير إلى أن خروج المنافقين مع المؤمنين إلى تبوك ضرر محض لما يثيرونه من الإشاعات التي يشبّطون بها المؤمنين الصادقين، ويوهنون عزائمهم، ويثيرون بها الفتنة بينهم.

قال الخازن: «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا» يعني: لو

(١) سبق تخريج القصة ص ٣٦٣ حاشية ١.



خرج هؤلاء المنافقون معكم إلى الغزو ما زادوكم إلا فساداً وشرّاً، وأصل الخبال اضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون. قال بعض النحاة: هذا من الاستثناء المنقطع، والمعنى: لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالاً، والمراد به هنا الإفساد وإيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم ﴿وَلَا وَضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ يعني بإلقاء النميمة والأحاديث الكاذبة فيكم ﴿يَبْقُونَكُمْ الْفِتْنَةَ﴾ يعني: يطلبون لكم ما تفتنون به، وذلك أنهم يقولون للمؤمنين: لقد جمع لكم كذا وكذا، ولا طاقة لكم بهم، وإنكم ستُهزمون منهم، وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الأحاديث الكاذبة التي تجبن، وقيل: معناه يطلبون العيب والشر^(١).

(ب) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۚ﴾ (١٢) وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّسُوا بِهَا إِلَّا بَسِيرًا ۚ﴾ (١٣) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبْرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ۚ﴾ (الأحزاب: ١٣ - ١٥).

فهذه الآيات تبين ما سلكه المنافقون من أسلوب التخذيل والتشبيط والتشكيك في وعد الله لأوليائه بالنصر في غزوة الخندق، وقد سبقت الإشارة إلى بعض مقالات المنافقين في هذه الغزوة^(٢).

(ج) قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَجِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ۚ﴾ (الأحزاب: ١٨).

قال القرطبي: «وهؤلاء طائفتان، أي: منكم من يشبّط ويعوق، والعوق المنع والصرف، يقال: عاقه يعوقه عوقاً واعتاقه بمعنى واحد، قال

(١) تفسير الخازن (٢/٣٦٨ - ٣٦٩).

(٢) راجع ص ٣٦٧ حاشية ٣.

مقاتل: هم عبدالله بن أبي وأصحابه المنافقون، ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [الأحزاب: ١٨] فيهم ثلاثة أقوال:

الأول: أنهم المنافقون، قالوا للمسلمين ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، وهو هالك ومن معه فهلّم إلينا.

الثاني: أنهم يهود بني قريظة قالوا لإخوانهم من المنافقين هلّم إلينا وفارقوا محمداً فإنه هالك، وإن أبا سفيان إن ظفر بكم لم يبق منكم أحداً.

الثالث: أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ بين الرماح والسيوف، فقال له أخوه: هلّم إليّ قد تبع بك وبصاحبك - أي قد أحيط بك وبصاحبك^(١).

(٣) إثارة الفتنة في المجتمع: فالإشاعة من أكثر الطرق نجاحاً في إثارة الفتنة والبلبلة بين أفراد المجتمع، ومن أشدها خطراً في هذا الجانب، وقد بين القرآن الكريم أن من أساليب المنافقين في الكيد للمؤمنين إثارة الفتنة بينهم بما يثبتونه من إشاعات كاذبة، ومن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا رُضْعًا وَلَا نِجْلًا لَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالْظَّالِمِينَ﴾ [التوبة: ٤٧].

قال ابن عاشور^(٢): «وهذه الجملة - أي: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ - اعتراض للتنبيه على أن بغيتهم الفتنة أشد خطراً على المسلمين؛ لأن في المسلمين فريقاً تنطلي عليهم حيلهم، وهؤلاء هم سدج المسلمين الذين يعجبون من أخبارهم ويتأثرون ولا يبلغون إلى تمييز التموهات والمكائد عن الصدق والحق»^(٣).

(١) تفسير القرطبي (١٥١/١٤ - ١٥٢).

(٢) هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، من أكابر علماء تونس في العصر الحديث، ومن علماء المالكية، من أشهر مؤلفاته تفسيره المسمى «التحرير والتنوير».

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢١٨/١٠).



(ب) قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَسْتَفَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

قال ابن جرير: «يقول الله تعالى: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك يا محمد، التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردِّهم إلى الكفر بالتخذيل، كفعل عبدالله بن أبي بك وبأصحابك يوم أحد حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه، وذلك كان ابتغاءهم الفتنة، ما كانوا ﴿أَسْتَفَوْا﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ من الفتنة من قبل، ويعني بقوله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل هذا، ﴿وَكَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أجالوا فيك - وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله - الرأي بالتخذيل عنك وإنكار ما تأتيهم به ورده عليك»^(١).

(٤) إشاعة الفاحشة في المجتمع: فالذين يخلقون الاتهامات الكاذبة للأبرياء ويجهتدون في نشرها وإشاعتها إنما يعملون على إشاعة الفاحشة في المجتمع ووصم أخلاق الأمة المسلمة، ولذا استحقوا الوعيد بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ويدل على هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الثور: ١٩].

قال ابن عاشور: «ولشيوخ أخبار الفواحش بين المؤمنين بالصدق أو بالكذب مفسدة أخلاقية، فإن مما يزع الناس عن المفساد تهيتهم وقوعها، وتجهتهم وكرهاتهم سوء سمعتها، وذلك مما يصرف تفكيرهم عن تذكرها بله الإقدام عليها رويداً رويداً حتى تُنسى وتنمحي صورها من النفوس، فإذا انتشر بين الأمة الحديث بوقوع شيء من الفواحش تذكرتها الخواطر، وخفَّ وقع خبرها على الأسماع، فذبَّ بذلك إلى النفوس التهاون بوقوعها، وخفة وقعها على الأسماع فلا تلبث النفوس الخبيثة أن تقدم على اقترافها، وبمقدار تكرار وقوعها وتكرر الحديث

(١) تفسير الطبري (١٠٣/١٠).

عنها تصير متداولة، هذا إلى ما في إشاعة الفاحشة من لحاق الأذى والضرر بالناس ضرراً متفاوت المقدار على تفاوت الأخبار في الصدق والكذب، ولهذا ذيل هذا الأدب الجليل بقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩] أي: يعلم ما في ذلك من المفساد فيعظكم لتجتنبوا، وأنتم لا تعلمون فتحسبون التحدث بذلك لا يترتب عليه ضرر، وهذا كقوله: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥] ^(١).

(٥) معاقبة البريء بجرم لم يرتكبه: فقد يؤدي الاستعجال في تصديق الإشاعة الكاذبة إلى توجيه عقوبة إلى شخص أو أشخاص لم يرتكبوا ما يوجب العقوبة، وهذا ما كاد يحصل عندما بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبي معيط ^(٢) على صدقات بني المصطلق، فلما بلغهم مجيئه خرجوا لتلقيه ليلغوا صدقاتهم وعليهم السلاح، فحدثته نفسه أنهم خرجوا ليقتلوه لشحناء كانت بينهم وبينه في الجاهلية، فرجع إلى النبي ﷺ، وأبلغه أنهم منعوا الزكاة وأرادوا قتله، فغضب الرسول ﷺ، وهم أن يبعث إليهم بعثاً - وفي رواية أنه بعث إليهم بعثاً وأمرهم ألا يغزوهم حتى يتثبتوا من أمرهم فتبين للبعث أنهم على خلاف ما أخبر به الوليد - وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِصْرَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] ^(٣).



(١) التحرير والتنوير (١٨/١٨٥).

(٢) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي، أسلم عام الفتح، بعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق، ولي لعثمان الكوفة ثم شرب الخمر بها فأقام عثمان عليه الحد فحبسه، مات بالرقعة. [أسد الغابة (٩٠/٥)].

(٣) انظر القصة في تفسير الطبري (٧٨/٢٦)؛ أسباب النزول للواحدي ص ١٧٨؛ تفسير ابن كثير (٣٠٨/٤ - ٣٠٩)؛ مسند الإمام أحمد (٢٧٩/٤)؛ الدر المنثور (٨٩/٦).

المبحث الثاني

منهج القرآن في التعامل مع الإشاعة

أرشد القرآن المؤمنين إلى عدة طرق للتعامل مع الإشاعة حتى يتجنبوا آثارها السيئة ونتائجها الخطيرة، ومن تلك الطرق:

(١) التثبت عند سماعها وعدم الاستعجال في تصديقها حتى تتبين حقيقتها، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحُجُرَات: ٦]، وقد سبقت الإشارة إلى سبب نزول هذه الآية.

وكلمة ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ فيها قراءتان: «تبينوا» من التبين، و«تثبتوا» من التثبت^(١)، وهما متقاربتان في المعنى كما ذكر ابن جرير وغيره^(٢).

فهذه الآية الكريمة ترشد عامة المؤمنين وبخاصة ولادة الأمور إلى ضرورة التثبت مما يسمعون وعدم الاستعجال في الحكم على الناس أو العقوبة لهم حتى تتضح لهم جلية الأمر، لئلا يؤدي بهم الاستعجال في الحكم أو العقوبة إلى ما يوجب الندم.

قال ابن عاشور: «دل قوله: ﴿فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحُجُرَات: ٦] أنه تحذير من الوقوع فيما يوجب الندم شرعاً، أي: ما يوجب التوبة من تلك الإصابة، فكان هذا كناية عن الإثم في تلك الإصابة، فحذر ولادة الأمور من أن يصيبوا أحداً بضر أو غرم دون تبين، وتحقيق توجه ما يوجب تسليط تلك الإصابة عليه بوجه اليقين أو غلبة الظن، وما دون ذلك فهو تقصير يؤاخذ عليه»^(٣).

(١) قرأ «تبينوا» جمهور السبعة ما عدا حمزة والكسائي، وقرأ «تثبتوا» حمزة والكسائي.

انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع (٢٩٤/١).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧٨/٢٦)؛ البحر المحيط (١٥٩/٨).

(٣) التحرير والتنوير (٢٣٤/٢٦).

وقد روي أن النبي ﷺ لما تبيّن له أمر بني المصطلق قال: «التبئ من الله والعجلة من الشيطان»^(١).

(٢) حسن الظن بمن كانت الإشاعة تتعلق به: فينبغي لمن سمع بشيء يسيء إلى سمعة أخيه المؤمن أن يحسن الظن بأخيه، وأن يقيسه على نفسه، فإذا كان يستبعد ذلك عن نفسه فليستبعده عن أخيه، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُو ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنفُسِهِنَّ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢].

وقد روي أن أبا أيوب الأنصاري^(٢) لما بلغه خبر الإفك قال لزوجته: ألا ترين ما يقال؟ فقالت له: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءاً؟ قال: لا، قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما خنت رسول الله ﷺ، فعائشة خيرٌ مني وصفوان خير منك، قال: نعم^(٣).

ورويت القصة بالعكس، وهو أن زوج أبي أيوب هي التي قالت له: أما تسمع ما يتحدث به الناس؟^(٤).

وأيّاً كان السبب فالآية تحث المؤمنين على حسن الظن بإخوانهم، وعدم تصديق ما يقال عنهم من إشاعات.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢١٠/٤)؛ التحرير والتنوير (٢٢٩/٢٦). وفي هذا المعنى ما رواه الترمذي عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «الأناة من الله والعجلة من الشيطان». انظر: سنن الترمذي - كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الثاني والعجلة (٣٢٢/٤) رقم (٢٠١٢).

(٢) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري النجاري، من السابقين الأولين إلى الإسلام، أقام عنده النبي ﷺ مقدمه من مكة، وشهد الفتوح وداوم على الغزو، توفي سنة ٥٠ هـ. [الإصابة (٤٠٥/١)].

(٣) التحرير والتنوير (١٧٤/١٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٧٣/٣).

قال أبو السعود^(١): «فإن كون وصف الإيمان مما يحملهم على إحسان الظن ويكفهم عن إساءته بأنفسهم - أي: بأبناء جنسهم النازلين منزلة أنفسهم، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءَ تَقُولُونَ أَنفُسُكُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات: ١١] - مما لا ريب فيه، فإخلالهم بموجب ذلك الوصف أقبح وأشنع، والتوبيخ عليه أدخل»^(٢).

وفي معنى ما سبق قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَمَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

قال ابن عاشور: «ولما جاء الأمر في هذه الآية باجتناب كثير من الظن، علمنا أن الظنون الآثمة غير قليلة، فوجب التمهيط لتمييز الظن الباطل من الظن الصادق، والمراد بالظن هنا الظن المتعلق بأحوال الناس، وحذف المتعلق لتذهب نفس السامع إلى كل ظن ممكن هو إثم»^(٣).

ويؤكد ذلك أيضاً قول النبي ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»^(٤).

(٣) طلب الدليل والبرهان على صحة ما يشاع: فينبغي لمن سمع إشاعة ألا يسارع إلى تصديقها، بل يجب عليه أن يبحث عن الأدلة والبراهين

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى الحنفي المشهور بأبي السعود، ولد سنة ٨٩٣هـ، وتوفي سنة ٩٨٢هـ، ومن مصنفاته: التفسير المسمى «إرشاد العقل السليم إلى معاني القرآن الكريم». [الفوائد البهية في تراجم الحنفية ٨٢].

(٢) تفسير أبي السعود (١٦١/٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥١/٢٦).

(٤) جزء من حديث رواه البخاري في كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع (١٣٦/٦)؛ ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها (١١٨/١٦).

التي تدل على صدقها. وقد أشار القرآن إلى ذلك في أكثر من موضع، منها:

(١) قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور: ١٣].

أي: هلا جاؤوا على ما قالوه بأربعة شهداء يشهدون على صحته ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] أي: هم في حكم الله كاذبون فاجرون^(١).

(ب) قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِصْرَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

فالأمر بالتبين يقتضي البحث عن الأدلة التي تؤكد صحة النبأ أو بطلانه.

(٤) حفظ اللسان عن الخوض في إشاعة المقالة التي سمعها والتي لم يتحقق من صحة ثبوتها حتى لا يعرض نفسه لاستحقاق العقوبة من الله على ذلك. وقد أشار القرآن إلى ذلك في أكثر من موضع، منها:

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٤] إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [٥] وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا مِثْنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٤ - ١٦].

قال ابن عاشور: «وفي هذا من الأدب الأخلاقي أن المرء لا يقول بلسانه ما لا يعلمه ويتحققه، وإلا فهو أحد رجلين: أفن الرأي يقول الشيء قبل أن يتبين له الأمر فيوشك أن يقول الكذب فيحسبه الناس كذاباً، وفي الحديث: «حسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٧٣ - ٢٧٤).

سمع»^(١)، أو رجل مموه مرأى يقول ما يعتقد خلافه، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]»^(٢).

(ب) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

قال ابن عاشور: «القفو: الاتباع، يقال: قفاه يقفوه إذا اتبعه، وهو مشتق من القفا، وهو ما وراء العنق، واستعير هذا الفعل هنا للعمل، والمراد بما ليس لك به علم: الخاطر النفساني الذي لا دليل عليه ولا غلبة ظن به».

ثم ذكر أنه يندرج تحت هذا أنواع، منها: الطعن في أنساب الناس، والقذف بالزنى وغيره من المساوىء، وشهادة الزور. ثم قال: «ويشهد لإرادة جميع هذه المعاني تعليل النهي بجملة ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]»^(٣).

(٥) وإذا كان الخبر يتعلّق بأمر من الأمور العامة التي تتعلق بمصالح المسلمين العامة - كأن يكون متعلّقاً بأمن المسلمين أو خوفهم أو نحو ذلك - فقد أرشد القرآن إلى ضرورة رده إلى أولي الأمر من الولاة وأهل العلم والفضل الذين هم أدرى بالمصلحة في ذلك بحكم علمهم وتجربتهم، فقال تعالى - منذاً بمن يذيعون الأخبار المتعلقة بأمر المسلمين العامة ولا يردونها إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر :-

(١) رواه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع من حديث عمر بن الخطاب موقوفاً، ورواه مرفوعاً من حديث أبي هريرة بلفظ: «كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع». انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٧٣/١ - ٧٥)، ورواه أبو داود في كتاب الأدب باب التشديد في الكذب (٢٦٥/٥ - ٢٦٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٧٨/١٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٠٠/١٥ - ١٠١).

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣].

وقد ذُكِرَ في سبب نزول هذه الآية أكثر من رواية:

□ فقيل: سبب نزولها أن رسول الله ﷺ كان إذا بعث سرية من السرايا فغلبت أو غلبت تحدثوا بذلك وأفسوه ولم يصبروا حتى يكون النبي ﷺ هو المتحدث به^(١).

□ وقيل: سبب نزولها أن المنافقين كانوا يختلقون الأخبار من الأمن والخوف - وهي مخالفة للواقع - ليظن المسلمون الأمن حين الخوف فلا يأخذوا حذرهم، أو الخوف حين الأمن فتضطرب أمورهم وتختل أحوالهم^(٢).

□ وقيل: سبب نزولها أن النبي ﷺ لما اعتزل نساءه دخل عمر المسجد فسمع الناس يقولون: طلق رسول الله ﷺ نساءه، فدخل على النبي ﷺ فسأله: أطلقت نساءك؟ قال: «لا»، فخرج فنادى: ألا إن رسول الله ﷺ لم يطلق نساءه، فنزلت هذه الآية، فكان هو الذي استنبط الأمر^(٣).

وأيّاً كان سبب نزول الآية فهي صريحة في وجوب ردّ الأخبار المتعلقة بمصالح المسلمين العامة إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر، ليتصرفوا في شأنها بما تقتضيه المصلحة العامة.

وفي الآية الكريمة تقرير قاعدة إعلامية جليلة مستمرة وهي أنه ليس

(١) تفسير الطبري (١١٤/٥)؛ زاد المسير (١٤٥/٢ - ١٤٦).

(٢) التحرير والتنوير (١٤٠/٥).

(٣) هذا جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب بيان أن تخير المرأة لا يكون طلاقاً إلا بالنية (٨٤/١٠). وانظر: زاد المسير (١٤٥/٢).



لرجال الإعلام أن يقوموا بنشر شيء مما يتصل بشؤون الدولة وأمنها وسلامتها إلا بعد رفعه إلى أولي الأمر منهم، وعلى أولي الأمر أن يبدلوا قصارى جهدهم لاستنباط الحقائق من الوقائع معتمدين في ذلك على فهمهم للأمور والاستشارة والاستعانة بالخبراء والمتخصصين في تلك الأمور، ثم بعد الدراسة والتدقيق يأتي التقرير بما يذاع وينشر وما لا يذاع ولا ينشر حسب ما تقتضيه المصلحة، مع مراعاة التوقيت المناسب^(١).

قال ابن سعدي^(٢): «هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة مما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول ﷺ وإلى أولي الأمر منهم - أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة - الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدّها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطاً للمؤمنين وسروراً لهم وتحزّزاً من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا ما ليس فيه مصلحة، أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّمَهُ الْذِّينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] أي يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة»^(٣).



- (١) انظر: الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم لمحمد الطلابي ص ٨٥.
- (٢) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي، من أفاضل علماء نجد، وأحد الذين ساروا على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من مؤلفاته: «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، و«القواعد الحسان لتفسير القرآن». [المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (٢٨١/١)].
- (٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ١٩٠ مطبوع مع المصحف.

المبحث الثالث

منهج القرآن في الحد من الإشاعة

تعددت أساليب القرآن في الحد من الإشاعة وكبح جماح المولعين بنشرها، ومن تلك الأساليب ما يلي:

(١) بيان العقوبات الدنيوية المترتبة على الإشاعة عند ثبوت بطلانها، ومن ذلك عقوبة القذف المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤، ٥].

فقد حكم الله على قاذف المحصنة بثلاث عقوبات:

● جلده ثمانين جلدة، وهي عقوبة حسية.

● وإسقاط شهادته.

● والحكم عليه بالفسق، وهما عقوبتان معنويتان.

ثم استثنى الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا، والاستثناء راجع إلى قوله: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤] لا إلى الجلد؛ لأنه قد فات بقرينة قوله: ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾^(١).

قال المودودي: «المقصود بهذا الحكم أن يقطع في المجتمع أحاديث الناس بالفحشاء، والعلاقات المنكرة بين مختلف الأفراد، وتناميهم أخبارها؛ فإن ذلك مما يأتي بكثير من المضرات والمستقبحات، أكبرها أن تتولد في المجتمع شيئاً فشيئاً بيئة الفجور والدعارة على صورة غير مرئية»^(٢).

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٥٩/١٨ - ١٦٠).

(٢) انظر: تفسير سورة النور للمودودي ص ٨٤.

ومما يندرج في العقوبات الدنيوية المترتبة على الإشاعة تهديد المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين في المدينة بأن يغري الله رسوله ﷺ بعقوبتهم، وذلك بأن يخرجهم من المدينة - إن لم يقلعوا عما هم عليه من الإرجاف بالإشاعات - كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ۖ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ظَفَرُوا أَُخِذُوا وَفُتِلُوا ۖ تَفْسِيلًا ۝﴾ [الأحزاب: ٦١، ٦٠].

وقيل: ليس المراد بقوله: ﴿ثُمَّ لَا يُحَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٠] الإخراج من المدينة، بل هو كناية عن الإهانة، وتجنب المسلمين مخالطتهم، وابتعادهم عن المؤمنين اتقاء ووجلاً، فتضمن ذلك أن يكونوا متوارين مختفين خوفاً من بطش المؤمنين بهم، حيث أغراهم النبي ﷺ بهم^(١).

قال ابن عاشور: «وبهذا الوعيد انكف المنافقون عن أذاة المسلمين وعن الإرجاف، فلم يقع التقتيل فيهم؛ إذ لم يحفظ أن النبي ﷺ قتل منهم أحداً، ولا أنه خرج منهم أحد»^(٢).

(٢) التوعد بالعذاب في الدنيا والآخرة لمن يمارسون نشر الإشاعات، فقد توعد الله من يفعل ذلك بالعذاب في أكثر من موضع، منها:

(١) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝﴾ [النور: ١١].

ففي هذه الآية توعد الله الذي تولى الدور الأكبر في نشر حديث الإفك - وهو عبدالله بن أبي - بالعذاب العظيم في الآخرة.

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥١٩/٣)؛ التحرير والتنوير (١١٠/٢٢).

(٢) التحرير والتنوير (١١٠/٢٢).

(ب) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الثور: ١٩].

وهذه الآية جمع الله فيها للذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا الوعيد بعذابي الدنيا والآخرة، وعذاب الدنيا حدّ القذف، وعذاب الآخرة العذاب في النار^(١).

(ج) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [الثور: ٢٣].

فقد جمع الله في هذه الآية للذين يمارسون الإشاعات بين اللعن في الدنيا والآخرة، والعذاب العظيم في الآخرة.

واللعن في الدنيا: إقامة الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم وزوال رتبة العدالة عنهم، وفي الآخرة الطرد من رحمة الله. والعذاب العظيم: عذاب جهنم^(٢).

(د) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكُزْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٧] إِذْ تَلْقَوْنَهُ بِالسِّنِّكِزْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [الثور: ١٤، ١٥].

أي: لولا فضل الله عليكم أيها الخائضون في حديث الإفك بقبول التوبة والإنابة لمسكم فيما أفضتم فيه من حديث الإفك عذاب عظيم.

(٣) الحث على حفظ اللسان من الخوض فيما ليس له به علم، وبيان ما يترتب على إطلاق اللسان من عواقب وخيمة، ومن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

(١) تفسير ابن كثير (١٧٥/٣).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (١٧٤/٤)؛ التحرير والتنوير (١٩١/١٨).



(ب) قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الثور: ١٤ - ١٦].

(ج) قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

(د) قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿٨﴾﴾ [ق: ١٨].

(٤) الحث على الصدق والتحذير من الكذب وبيان عاقبة كل منهما، ومن ذلك:

(أ) قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لِمَن جَنَّتْ نَجْمًا مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

(ب) قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٤].

(ج) قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوذِيْتُكُمْ بَخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتْ نَجْمًا مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَنْزَجُ مَطْمَعَةً وَرِضْوَانًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّادِقِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَقِيمِينَ بِالْأَسْعَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥ - ١٧].

(د) قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠﴾ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].

(هـ) قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١١، ١٢].

(و) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ﴿١١٧﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل: ١١٧، ١١٨].

(ز) قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى ﴿٦١﴾﴾ [طه: ٦١].

(ح) قوله تعالى: ﴿وَالْحَنِيسَةُ أَنْ لَعَنَتَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾﴾ [الثور: ٧].

(ط) قول النبي ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»^(١).



المبحث الرابع متى تجوز الإشاعة؟

الإشاعة - كما سبق - سلوك مذموم وخلق دنيء، يترتب عليه مفسدات عظيمة وعواقب وخيمة، لكن هناك بعض المواطن تسوغ فيها الإشاعة، وهي المواطن التي يسوغ فيها الكذب، وذلك عندما يترتب على الإشاعة مصلحة راجحة، وهذه المواطن:

الوطن الأول:

الحرب، فيجوز في الحرب أن يشاع ما ليس له حقيقة من أجل

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٨﴾﴾ (٩٥/٧)؛ ومسلم في كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (١٥٩/١٦ - ١٦٠).



خداع العدو والنيل منه، ويدلُّ على هذا قول النبي ﷺ: «الحرب خدعة»^(١).

وقد أذن النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة^(٢) أن يستعمل الكذب مع كعب بن الأشرف لأجل الظفر به وقتله، بسبب إيذائه لله ورسوله ﷺ، ففعل ذلك حتى استمكن منه وقتله^(٣).

كما أذن ﷺ لنعيم بن مسعود^(٤) أن يستعمل الإشاعة لتخذيل الأحزاب عن المسلمين، وقصة ذلك - كما رواها أهل السيرة -: أن نعيم بن مسعود أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد أسلمتُ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمُرني بما شئتُ، فقال رسول الله ﷺ: «إنما أنتَ فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعتَ فإن الحرب خدعة». فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم وذي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لستَ عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، ولا تقدرُونَ على أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدكم ونساؤهم وأموالهم بغيره فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحرب خدعة (٢٤/٤)؛ ومسلم في كتاب الجهاد، باب جواز الخدع في الحرب (٤٥/١٢).

(٢) هو محمد بن مسلمة الأنصاري الأوسي، وُلد قبل البعثة، وهو ممن سمي في الجاهلية محمداً، شهد بدرأً وصحب النبي ﷺ هو وأولاده، وروى عنه أحاديث، وشهد المشاهد إلا تبوك؛ تخلف عنها بإذن النبي ﷺ، مات بالمدينة سنة ٤٦ هـ. [الإصابة (٣٨٣/٣)].

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب الكذب في الحرب (٢٤/٤ - ٢٥).

(٤) هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف الأشجعي، صحابي مشهور أسلم عام الخندق، وله ذكر في صحيح البخاري، مات في خلافة عثمان. [الإصابة (٥٦٨/٣)].

ببلدكم، ولا طاقة لكم به، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تنأجزوهم، قالوا: لقد أشرت بالرأي. ثم خرج حتى أتى قريشاً فقال لأبي سفيان ومن معه من قريش: قد عرفتم وذئ لكم وفراقي محمداً، وإنه قد بلغني أمر قد رأيت عليّ حقاً أن أبلغكموه نصحاً لكم، فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين رجالاً من أشرفهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى تستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أن نعم، فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم أحداً. ثم خرج حتى أتى غطفان فقال لهم: إنكم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إليّ ولا أراكم تهموني، قالوا: صدقت، قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش. فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس، وكان من صنع الله لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل^(١) في نفر من قريش وغطفان، فقال لهم: إنا لسنا بدار مقام، هلك الخف والحافر، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ مما بيننا وبينه، فأرسلوا إليهم: إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم يكونون بأيدينا حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تنشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا، ولا طاقة لنا بذلك منه، فلما رجعت الرسل بما قالت يهود بني قريظة قالت قريش وغطفان: والله إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق،

(١) هو عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي، أسلم عام الفتح، وشارك في قتال المرتدين، سمّاه النبي ﷺ بالراكب المهاجر، استشهد في أجنادين.

[تهذيب التهذيب (٢٥٧/٧)].

فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا، فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهى إليهم الرسل بهذا: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً، فأبوا، وخذل الله بينهم^(١).

ومن هذا الباب ما ثبت أنه ﷺ كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها^(٢).

الموطن الثاني: الكذب لأجل إصلاح ذات البين بين المسلمين.

الموطن الثالث: الكذب على الزوجة لأجل إرضائها.

ويدلُّ على جواز الكذب في هذين الموطنين مع الموطن الأول قول النبي ﷺ: «كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال: رجل يكذب على امرأته ليرضيها، أو رجل كذب في خديعة حرب، أو رجل كذب بين امرئين مسلمين ليصلح بينهما»^(٣).

وينبغي التنبيه هنا على أن الكذب على الزوجة إنما يجوز فيما لا يترتب عليه إضرار بها أو أخذ لحقوقها، كأن يمدحها بما ليس فيها إرضاء لها أو نحوه، وأما ما يترتب عليه ظلمها فلا يجوز بأي حال. قال ابن حجر^(٤): «واتفقوا على أن المراد بالكذب في حق المرأة والرجل إنما هو فيما لا يسقط حقاً عليه أو عليها، أو أخذ ما ليس له أو لها، وكذا في

(١) انظر: السيرة النبوية لابن كثير (٣/٢١٤ - ٢١٦).

(٢) فتح الباري (٦/١٥٩).

(٣) رواه أحمد في المسند (٦/٤٥٤)؛ والترمذي في كتاب البر، باب ما جاء في إصلاح ذات البين (٤/٢٩٢)، حديث رقم (١٩٣٩).

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكتاني العسقلاني، حافظ الديار المصرية، بل حافظ الدنيا مطلقاً، ولد سنة ٧٧٣هـ وصنّف التصانيف التي عمّ النفع بها، كـ «فتح الباري»، و«تهذيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب»، و«الإصابة» وغيرها. توفي سنة ٨٥٢هـ. [ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٨٠].

الحرب في غير التأمين، واتفقوا على جواز الكذب عند الاضطرار كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختفٍ عنده، فله أن ينفي كونه عنده ويحلف على ذلك ولا يَأْثَمُ^(١).



(١) فتح الباري (٣٠٠/٥).

الخاتمة أهم نتائج البحث

من خلال هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

- أولاً: أن الإشاعة هي نشر خبر باطل أو غير متحقق من صحته.
- ثانياً: أن إشاعات المشركين تركّزت حول شخص الرسول ﷺ وحول القرآن في محاولة منهم لإبطال دعوة الرسول ﷺ، ولكن الله متمّ نوره رغم كيد الكائدين.
- ثالثاً: أن إشاعات أهل الكتاب في غالبها تدور حول الكيد للرسول ﷺ في محاولة منهم لإبطال دعوته، ومصدرها الحقد على الإسلام.
- رابعاً: أن إشاعات المنافقين أيضاً تهدف إلى الكيد للإسلام وإثارة الفتنة في المجتمع المسلم.
- خامساً: أن للإشاعة آثاراً خطيرة ومدمرة، منها تشويه السمعة وتثييط العزائم، وإثارة الفتنة، وإشاعة الفاحشة في المجتمع، ومعاقبة من لا يستحق العقوبة.
- سادساً: أن القرآن الكريم قد أرشد المسلمين إلى منهج فريد في التعامل مع الإشاعة إن تمسكوا به تجنبوا آثارها الخطيرة، ومن ذلك التثبت عند سماعها، وحسن الظن بمن أشيعت حوله، والبحث عن دليل صحتها قبل تصديقها وحفظ اللسان عن الخوض فيها حتى تموت في مهدها، وردّ ما يتعلق منها بالشؤون العامة إلى ذوي الاختصاص.

سابعاً: أن القرآن الكريم وضع تدابير ناجعة من شأنها أن تحدّ من انتشار الإشاعات، منها: بيان العقوبات المترتبة عليها في الدنيا والآخرة، والحث على حفظ اللسان عن الخوض فيها.

ثامناً: أن الإشاعة تجوز في الحرب لخداع العدو والنيل منه، وفي سبيل إصلاح ذات البين، وفي سبيل إرضاء الزوجة من غير أن يترتب على ذلك ظلمها أو سلب حقوقها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين





مراجع البحث

- □ القرآن الكريم.
- أسباب النزول؛ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي. ط: مطبعة الحلبي وشركاه ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب؛ لابن عبد البر النمري القرطبي. مطبوع بهامش الإصابة. ط: دار صادر - بيروت، ط ١/ ١٣٢٨هـ.
- أسد الغابة في معرفة الصحابة؛ لأبي الحسن علي بن محمد الجزري. تحقيق: محمد إبراهيم البناء وآخرين. طبعة دار الشعب بمصر، ١٣٩٠هـ.
- الأسلوب الإعلامي في القرآن الكريم؛ لمحمد بن أحمد سيد الطلابي، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/١٩٩١م.
- الإصابة في تمييز الصحابة؛ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط: دار النهضة بمصر.
- الأعلام؛ لخير الدين الزركلي، ط: دار العلم للملايين - بيروت، ط ٢/ ١٩٨٩م.
- البحر المحيط في التفسير؛ لأبي حيان الأندلسي، ط: دار الفكر - الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- البداية والنهاية؛ للحافظ عماد الدين ابن كثير، الناشر مكتبة المعارف - بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز؛ لمجد الدين بن محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار، ط: المكتبة العلمية ببيروت.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة؛ لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م - دار الفكر.
- تاريخ بغداد؛ للحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٣٧٤هـ.

- التحرير والتنوير في التفسير؛ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ط: دار سحنون للنشر - تونس.
- تذكرة الحفاظ؛ للحافظ أبي عبدالله شمس الدين الذهبي، ط: مكتبة لبنان ١٩٧٨م.
- تفسير ابن كثير المسمى بتفسير القرآن العظيم؛ للحافظ عماد الدين أبي الفداء ابن كثير، ط: دار المعرفة - بيروت ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
- تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى معاني القرآن الكريم)؛ لأبي السعود محمد بن أحمد العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل)؛ لعلاء الدين محمد بن إبراهيم البغدادي المشهور بالخازن، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- تفسير سورة النور؛ لأبي الأعلى المودودي، ط: دار الفكر - بيروت.
- تفسير الطبري المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن)؛ لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- تفسير غريب القرآن؛ لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن)؛ للإمام أبي عبدالله القرطبي، الطبعة الثالثة ١٣٧٢هـ.
- التفسير الكبير المسمى بـ (مفاتيح الغيب)؛ للإمام فخر الدين الرازي، ط: دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- تهذيب التهذيب؛ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط: مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية - الهند ط ١/ ١٣٢٥هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات؛ لمحيي الدين النووي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان؛ مطبوع مع المصحف، ط: مؤسسة الرسالة.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ لجلال الدين السيوطي، ط: دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة؛ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد السيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة بمصر.



- زاد المسير في التفسير؛ لأبي الفرج ابن الجوزي، ط: المكتب الإسلامي ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
- سنن أبي داود؛ للحافظ أبي داود بن الأشعث، ط: دار الحديث بحمص، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.
- سنن الترمذي المسمى (الجامع الصحيح)؛ لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، الطبعة الأولى، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٦هـ.
- سير أعلام النبلاء؛ لشمس الدين الذهبي، تحقيق: الدكتور بشار عواد والدكتور محيي الدين هلال، ط: دار الكتاب العربي ببيروت.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ لعبدالحى بن العماد الحنبلي، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- صحيح البخاري (الجامع الصحيح)؛ لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ط: المكتبة الإسلامية باستانبول ١٩٨١م.
- صحيح مسلم بشرح النووي؛ للإمام مسلم بن الحجاج القشيري، ط: دار الفكر ببيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- طبقات الحفاظ؛ للحافظ جلال الدين السيوطي، راجعه وضبط أعلامه لجنة من العلماء، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- طبقات المفسرين؛ للحافظ جلال الدين السيوطي، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ للإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، تصحيح: محب الدين الخطيب، نشر: إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية؛ لمحمد اللكنوي، ط: مطبعة السعادة ١٣٢٩هـ.
- لباب النقول في أسباب النزول؛ لجلال الدين السيوطي، ط: دار إحياء العلوم - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- لسان العرب؛ لأبي الفضل جمال الدين بن منظور، ط: دار الفكر ببيروت، الطبعة الثانية.

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها؛ لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: محيي الدين رمضان، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لأبي محمد بن عطية الغرناطي الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.
- المستدرك على الصحيحين؛ للحافظ أبي عبدالله الحاكم النيسابوري، ط: مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب.
- مسند الإمام أحمد؛ للإمام أحمد بن حنبل الشيباني، ط: دار صادر.
- معاني القرآن وإعرابه؛ لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، ط: عالم الكتب ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- معالم التنزيل؛ للحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العاث ومروان سوار، ط: دار المعرفة - بيروت، ط ١/ ١٤٠٦هـ.
- معجم مقاييس اللغة؛ لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون، ط: دار الفكر - بيروت ١٣٩٩هـ.
- المفردات في غريب القرآن؛ للراغب الأصفهاني، ط: دار المعرفة - بيروت.
- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات؛ لمحمد بن عبدالرحمن المغراوي، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة؛ من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد؛ لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالوجود، والشيخ علي محمد معوض، ود. أحمد محمد صيرة، ود. أحمد عبدالغني الجمل، ود. عبدالرحمن عويس، ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

